

رؤية ناقدة لقصة (بلد العميان).

أنور حسين النصار

منصة يم للتربية الخاصة

أكتوبر ٢٠٢٦ م

معلومٌ أن قصص وروايات الأفلام تبنى على حيكات مجتمعية، تكون واقعية في مجملها، وبعضها يخضع أيضاً للخيال. تصور أفراد المجتمع بتنوع شخصياتهم الخيرة والشريرة. تشمل في طيات شخصياتها، أفراداً من ذوي الإعاقة، تصورههم في قالب إنساني بقصد تحسين صورتهم. فنجد في الأدب العالمي قصة فلم سنو وايت والأقزام السبعة (Snow White and the Seven Dwarfs). حيث يلعب الأقزام السبعة دوراً مهماً في حماية وإيواء سنو وايت في كوخهم الواقع وسط الغابة بعد هربها من بطش زوجة أبيها الملكة الشريرة وتوجيه مجرى القصة نحو نهايتها السعيدة.

وفلم أحذب نوتردام (The Hunchback of Notre Dame) ١٩٩٦ م وهو مأخوذ عن رواية تاريخية درامية أبدعها الكاتب الفرنسي فيكتور هوغو عام ١٨٣١ م، وتدور أحداثها في باريس خلال القرن الخامس عشر الميلادي)، بطل القصة هو كوازيمودو (Quasimodo)، شاب أحذب قبيح المظهر، أصم ويعمل قارعاً للأجراس في كاتدرائية نوتردام، لكنه يحمل قلباً طيباً ونقياً. وفلم (The Intouchables) ٢٠١١ م، فيلم فرنسي شهير مستوحى من قصة حقيقية، يدور في إطار درامي كوميدي حول رجل أرستقراطي ثري يصاب بالشلل الرباعي نتيجة حادث هبوط بالمظلات، ويستعين بشاب أسمر من الضواحي الفقيرة ليكون مقدم الرعاية الخاص به. وفلم رين مان (Rain Man) ١٩٨٨ م، يحكي قصة رجل يعاني من اضطراب طيف التوحد ويملك قدرات ذهنية مذهلة، وكيف تتغير حياة أخيه بعد لقائه. لم أقرأ من يعيب على شخصيات قصص هذه الأفلام، وما تصوره من حياتهم المختلفة، بل تجعلهم شخصيات مسالمة متعاونة. لكن عندما ظهرت قصة بلد العميان، اجتاحت مجتمع المؤسسات المعنية بذوي الإعاقة البصرية ثورة عارمة رافضة لفكرة تحويل القصة إلى فلم سينمائي. فما هي هذه القصة؟

بلد العميان (The Country of the Blind) هي قصة قصيرة من تأليف الكاتب الإنجليزي ه. ج. ويلز، أحد أبرز رواد أدب الخيال العلمي.

صدرت لأول مرة في عام ١٩٠٤ م، في مجلة The Strand Magazine، ثم أُعيد نشرها كجزء من مجموعته القصصية "حكايات طويلة وحديثة" (The Country of the Blind and Other Stories) في عام ١٩١١ م.

تدور القصة حول متسلق جبال إنجليزي يُدعى نيون، الذي يسقط أثناء رحلة استكشافية في جبال الأنديز بدولة بيرو بأمريكا الجنوبية، وذلك في وادٍ منعزل تمامًا عن العالم الخارجي. بعد استعادته لوعيه، يلاحظ نيون بأن في أسفل الوادي توجد قرية عشوائية في شكل وحجم وألوان أبنيتها، بيوتها خالية من النوافذ.

يكتشف أن سكان القرية، مجتمع من البشر الذين أصيبوا جميعًا بالعمى نتيجة لوباء أصاب أسلافهم قبل أجيال.

لاحظ بأنهم طوروا نظامًا حيائيًا كاملاً بدون الحاجة إلى البصر. كانوا يتحركون بلمس الجدران للوصول إلى الأماكن التي يرغبونها.

اعتقد نيون بأن امتلاكه لحاسة البصر، سيجعله قادرًا على الهيمنة على هذا المجتمع، مستندًا إلى قدرته البصرية التي يُفترض أنها ميزة.

أخذ يشرح للسكان عن جهاز العين ومكانه في الرأس، وعن وظيفته في رؤية الأشياء. وصف لهم لون الأرض والصخور والسماء والجبال والأشجار.

لكن سرعان ما يكتشف أن حاسته البصرية عديمة الفائدة في مواجهة نظامهم الاجتماعي الصارم وتقاليدهم المتأصلة، فهم يرفضون فكرة أن البصر يمثل ميزة أو قدرة خاصة، بل اعتبروها مرضًا.

يقع نيون في حب ابنة الرجل الذي يعمل عنده، كانت الفتاة جميلة لكن السكان كانوا يعتقدون غير ذلك.

يحتار الأب في قبول رجل منبوذ لامتلاكه لحاسة البصر، وبين ابنته المرفوضة في مجتمعه. ولشروط الموافقة، يطلب السكان من نيون أن يخضع لعملية جراحية لإزالة عينيه ليصبح طبيعيًا مثلهم.

يوفق في البداية، لكنه يرفض قبيل التنفيذ، ويفضل الهرب على العيش في عالم لا يُقدَّر فيه البصر.

الأبعاد النقدية للقصة:

- ألهمت القصة العديد من الأعمال الفنية، بما في ذلك المسرحيات والأفلام:
- فيلم قصير بعنوان (The Country of the Blind) أُنتج عام ١٩٩٧ م.
- تم تحويل القصة إلى عروض مسرحية، خصوصًا في إنجلترا، حيث ركز على التناقض بين الإبصار والعمى كرمز للمعرفة والجهل.

- أظهرت القصة الصدام الثقافي، وكيف تُصنّف المجتمعات الصفات والاختلافات على أنها ميزات أو عيوب.
- بينت الفردية مقابل الجماعة، في قدرة الفرد على تحدي القواعد التي تفرضها المجتمعات.
- القصة رمزية في حيكمتها، فصفا العى فى مجازفة؁ فىث تُشفر إلى أن ثقافة المجتمعات قد تتجاهل الحقائق إذا لم تتماشى مع تصوراتها المسبقة.

المرجع:

<https://akhbaralyom.net/articles.php?lng=arabic&print=82826>